أعلام المسلمين

٥٦

أم سلمة

العاقلة العالمة - أم المؤمنين

تأليف

أمينة عمر الخراط

دار القلم

دمشق

أم سلمة

العاقلة العالمة - أم المؤمنين

تأليف

أمينة عمر الخراط

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

أمُّ سَلَمَة

العَاقِلةُ العَالِمةُ - أمُّ المؤمنين

هٰــذه الســـيّدة

«فإن رب العالمين يجلي عن الناس بك».

محمد رسول الله ﷺ

«أرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي. قالت: يارسول الله، أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله».

«والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة».

أم سلمة

«وكانت تُعَدُّ من فقهاء الصحابيات».

الذهبي

«أول ظعينة تدخل المدينة مهاجرة».

ابن حجر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من سيئات أعمالنا وشرور أنفسنا، والصلاة والسلام على صفوة خلقه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد فإنّ من حكمة الله عز وجل أنه قيَّض لهذا الدين في أول انبلاج صبحه فتيةً مهتدين، حملوا لواءه، ونهضوا به، وسعوا في تثبيت أركانه في الأرض، وكان لهم فضل الصحبة، وفضل النصرة والمتابعة.

وإننا في الحقيقة لمدينون لهم - بعد الله عز وجل - فهم الذين ضَحُّوا بالغالي والنفيس من أجل دين الله، وهم الذين نقلوا إلينا معاني السنة النبوية لتقتفي الأجيال من بعدهم سيرة نبيهم على بصيرةٍ وفَهْم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - من فريق الصحابة الذين عاشوا مع النبي الكريم ﷺ، ونقلوا أحاديثه القولية والفعلية، وعلّموا الأجيال كيف يستنُّون بسنة نبيهم في علاقاته مع أزواجه، وتعامله مع الناس، وعبادته وصومه وفطره، ومأكله ومشربه،

وحربه وسلمه، وكان لهن فضل عظيم في نقل صورةٍ عملية لحياته. ولعل هذه حكمة عظيمة ظاهرة من تعدُّدِ زوجاته ﷺ. فعن طريقهن عرف الرجال والنساء الكثير عنه، ولولاهنّ لفاتت معانٍ جليلة من واقع حياته وأعماقها ودخائلها، لأنّ من المعلوم أنّ المرأة تعرف عن زوجها ما قد يخفى عن الآخرين، الذين لايعرفون عنه معرفة مباشرة.

ومن ثمرات دراسة سيرة أمهات المؤمنين أنهنّ ينقلن حياة نبي مُسَدَّد بالوحي، وتعد حياته هذه أسوة للمؤمنين من حوله ومن بعده، فالواحدة منهن تنقل واقع رواية عاشت مقاصدها، وشهدت حوادثها، وهذا قد لا يتوافر لمن لم يعش معه خصائص البيت النبوي الكريم. وبحثنا الذي نقدِّمه لقراء سلسلة «أعلام المسلمين» بحث في واحدة من نساء النبي ﷺ، كان لها أولاً شرف الانضمام المبكر لهذا الدين، وشرف البلاء فيه، والمعاناة والمكابدة من أجله، ثم كان لها ثانياً شرف الانضمام للبيت النبوي لتصبح زوجةً للنبي ﷺ، ثم تغدو بعد ذلك مرجعاً للفتوى يقصدها الناس للتوجيه والعلم والمشورة.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في أم سلمة التي كانت مصباحاً نيراً من مصابيح الهدى، حيث عرفت الأجيال منها الكثير من خصائص البيت النبوي وعلومه ومقاصده.

وإذا كان هذا البحث ثمرة متابعاتي العلمية في بطون كتب أهل العلم، فإنه في الحقيقة ـ وفي جميع مراحل إعداده ـ نتيجة لإشراف

زوجي أبي بلال عليّ، حيث كان معي من وقت أن بدأت أفكر فيه، وحين شرعت في جمع مادته العلمية، وبدأت الاستنتاج من النصوص وأخذ الدروس والعبر منها، وأخيراً حينما عزمت على صياغته وكتابته، فكان لي ـ حفظه الله ـ نعم السند الركين في جميع هذه المراحل، فله مني آيات الشكر والتقدير والدعاء.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وسبعة فصول، تحدَّثتُ في الفصل الأول عن اسمها ونسبها وقبيلتها، وتحدَّثت في الفصل الثاني عن حياتها قبل زواجها من النبي ﷺ، ثم تحدَّثت في الفصل الثالث عن هجرتها إلى المدينة المنورة، وفي الفصل الرابع تحدَّثت عن زواجها من النبي ﷺ، وفصَّلْتُ في الفصل الخامس في صفاتها، واخترْتُ منها: رجاحة عقلها، وعلمها، ومجاهرتها بالحق، ومنزلتها، وبلاغتها، وجمالها. ثم تحدَّثت في الفصل السادس عن مشاركتها في أحداث عصرها، وفي الفصل السابع حدَّدتُ وفاتها، وأتبعت ذلك بملحق في طائفة من الأحاديث التي روتها أم سلمة، وفي الخاتمة أشرت إلى الدروس المستفادة من سيرتها رضي الله عنها.

نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد

والحمد لله رب العالمين

أم بلال

المدينة المنورة ١٥/ ١١/ ١٤١٤هـ

مخطط البحث

الفصل الأول: اسمها ونسبها وقبيلتها.

الفصل الثاني: حياتها قبل زواجها من النبي ﷺ.

الفصل الثالث: هجرتها إلى المدينة المنورة.

الفصل الرابع: زواجها من النبي ﷺ.

الفصل الخامس: صفاتها.

١ـ رجاحة عقلها.

٢ـ علمها ومجاهرتها بالحق ومنزلتها.

٣ـ بلاغتها.

٤ـ جمالها.

الفصل السادس: مشاركتها في أحداث عصرها.

الفصل السابع: وفاتها.

الفَصل الأول

اسمها ونسبها وقبيلتها

اشتهرت أم المؤمنين بأم سلمة، فعُرِفت بكنيتها، حيث كانت أماً لابنها الأكبر سلمة، ولم تُعرف باسمها.

أما اسمها فهو هند بنت أبي أمية المشهور بلقب زاد الركب. وهو سهيل[١]. ويقال إن اسمه حذيفة[٢]. أمّا جدها لأبيها فهو المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة[٣].

ويبدو أن بعض مَنْ ترجم لها سَمَّاها رملة، فنفى ذلك الذهبي[٤] لأن رملة هو اسم أم حبيبة من أمهات المؤمنين[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٦.

(٢) أسد الغابة ٥/ ٥٨٨.

(٣) أسد الغابة ٥/ ٥٨٨، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٢.

(٥) رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ كانت عند عبيد الله بن جحش الأسدي، خرج بها مهاجراً من مكة إلى الحبشة ثم تنصَّر، وثبَّتَ الله رملة على الإسلام والهجرة حتى قدمت المدينة، فخطبها =

وأبوها أبو أمية عُرف بأنه أحد الأجواد الذين يُشار إليهم بالبنان، فكان إذا سافر لايترك أحداً يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزاد[1].

أمّا والدتها فهي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جَذِيمة ابن علقمة[2] جِذْل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة[3].

مما تقدَّم يتبين أن أم المؤمنين أم سلمة انحدرت من أصول عالية متميزة، فكان والدها سيداً في قومه مشهوراً بأنه يتحمل مسؤولية الزاد لدى القوافل التي يكون واحداً من أفرادها، فهو كريم سخيّ حتى إن القوم كانوا يلقبونه بزاد الركب.

ويذكر النسّابون من أجدادها علقمة ويلقبونه بأنه كان جِذْل الطعان، وقد اكتسب ذلك اللقب لشجاعته المتميزة.

وأم سلمة مع كونها سليلة آباءٍ لهم شهرتهم بين أفراد قومهم اكتسبت صفة النسب العالي الصريح، فهي مخزوميّةٌ من قريش، هذه القبيلة التي حازت على الرئاسة والشرف الرفيع. ومخزوم هو أبو حَيّ

= رسول الله ﷺ، وزوَّجه إياها عثمان. توفيت سنة ٤٤ هـ. انظر: الاستيعاب ٤/ ٣٠٦.

(١) الإصابة ٤/ ٤٥٨.

(٢) هذا أحد أجدادها وليس جدها القريب والد أمها، كما ذهب إلى هذا صاحب «زوجات النبي»، (ص٧٠).

(٣) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٦، نهاية الأرب ١٨/ ١٧٩.

من قريش، ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[١].

وأمّا أقرباؤها المعروفون فهم:

١ـ خالد بن الوليد، وأم سلمة بنت عمه[٢]. وهو الصحابي الجليل المشهور.

٢ـ عامر بن أبي أمية المخزومي، أخوها[٣]، أسلم يوم الفتح، روى عن أخته، وروى عنه سعيد بن المسيب، وشهد حجة الوداع[٤].

٣ـ عبد الله بن أبي أمية المخزومي، أخوها، وهو حذيفة أو سهل، له ذكر في الصحيحين من طريق زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة. كان أول الأمر شديد العداوة للنبي ﷺ، وهو الذي قال له: «﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾[٥]» ثم هداه الله للإسلام، وهاجر قبل الفتح، والتمس الدخول على النبي ﷺ مع أبي سفيان بن الحارث فمنعهما، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك ـ تعني أبا سفيان ـ وابن عمتك ـ تعني عبد الله ـ فقال: لاحاجة لي فيهما، أمّا ابن عمي فهتك عرضي، وأمّا ابن عمتي فقال

---

(١) لسان العرب، مادة (خزم).

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢.

(٣) تحفة الأشراف ١٣/ ١٣.

(٤) الإصابة ٢/ ٢٤٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٩٠.

لي بمكة ما قال. ثم أذن لهما فدخلا وأسلما وشهدا الفتح وحُنَيْناً والطائف. واستشهد عبد الله في الطائف[1].

٤ـ أبو جهل، وهي ابنة عمه[2]، و هو عمرو بن هشام المخزومي القرشي، كان أشد الناس عداوة للدعوة الإسلامية، وقُتل يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة[3].

٥ـ عمار بن ياسر، وهو أخوها من الرضاعة[4]، الصحابي المعروف.

* * *

(١) الإصابة ٢/ ٧٧٢، الاستيعاب ٢/ ٢٦٣.
(٢) تحفة الأشراف ١٣/ ١٣.
(٣) انظر ترجمته في الأعلام ٥/ ٨٧.
(٤) انظر ترجمته في الإصابة ٢/ ٥١٢.

الفصل الثاني

حياتها قبل زواجها من النبي ﷺ

أم سلمة من السابقين إلى رحاب الإسلام. وقد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، حيث كانا من العشرة الأوائل المهاجرين[١]. وقد ولدت هناك أولادها[٢]. ثم عاد الزوجان المؤمنان إلى مكة، وحين أَذِنَ الله لأبناء الدعوة بالهجرة إلى المدينة هاجرا معاً إليها ـ كما سيأتي ـ وهي أول ظعينة تدخل المدينة مهاجرة[٣].

وزوجها أبو سلمة ابن عمها[٤]، صحابي جليل من الذين أبْلَوْا في خدمة الدعوة بلاءً حسناً. وهو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢.

(٢) سلمة، وعمر، ودرة، وزينب كما في سير أعلام النبلاء ١/ ١٥١. وفي الإصابة ٤/٤٥٨: أن سلمة وُلِد في الحبشة، وعمر ودرة وزينب وُلدوا في المدينة، ورواية الإصابة هذه يقويها حديث أم سلمة عن هجرتها إلى المدينة حيث لم تذكر غير ولدٍ واحد كان معها وقت هجرتها. كما يقوّيها أيضاً أن الرسول ﷺ لما تزوجها كانت زينب رضيعاً.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٦.

(٤) الإصابة ٤/ ٤٥٨.

عبد الله بن مخزوم[1]، وأمه برَّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. وأسلم بعد عشرة أفراد[2]. وهاجر إلى الحبشة والمدينة المنورة. وكان أبو سلمة مع رسول الله ﷺ إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب[3].

شهد أبو سلمة بدراً[4] فكان أحد ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً تمَّ بهم النصر على ثلاثة أضعافهم من المشركين، وشهد كذلك معركة أُحُدٍ وأبلى فيها بلاءً حسناً.

ولقد بلّل ثرى أُحُد دمه الطاهر حيث جُرح جرحاً بليغاً في عضده كاد يودي بحياته، ولكنه شُفي منه، فادَّخره ربه ليوم آخر عصيب من أيام الدعوة.

مكث أبو سلمة يداوي جرحه فترة من الزمن، حتى ظن أنه التأم، وقد بذل في سبيل الدعوة أنفس ما يملك منذ أن كان في مكة، حيث كانت قريش تذيق المؤمنين صنوف البلاء. وهو من الصنف الذي لم يُخفِ دينه فجاهر بعقيدته وقيمه، وعُرف بأنه أحد العشرة

---

(١) انظر ترجمته في نهاية الأرب ١٨/ ١٧٩، الاستيعاب ١٣/ ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ١/ ١٥٠، صفة الصفوة ٢/ ٢٠، الطبقات الكبرى ٨/ ٨٧.
(٢) الإصابة ٢/ ٣٣٥.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٦.

السابقين إلى الإسلام إذ لم يُسلم قبله إلا أبو بكر ونفر قليل[1].

ظن المشركون والمُرْجِفُون بعد معركة أُحُدٍ أن المسلمين قد سُقط في أيديهم، وأن هيبتهم قد ضعفت، فبدؤوا يطلقون الإشاعات عن ضعف معنوياتهم. وبلغ النبي ﷺ بعد شهرين من معركة أحد أن بني أسد يعدُّون العدَّة لمهاجمته في عقر داره، فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة وعقد له لواء سرية إلى «قطن» وهو جبل بناحية فيد، ماء لبني أسد، وذلك في المحرم سنة أربع، وأرسل معه مئة وخمسين رجلاً، منهم أبو عبيدة وسعد.

تحرَّك أبو سلمة القائد لينفذ ما وصَّاه به رسول الله ﷺ من أَخْذِ العدو على حين غرة، ووصل إلى عدوه مع عماية الصبح ومن غير أهبة للقتال، واشتبك معهم في معركة ظافرة، وحقق غايته ثم رجع هو وصحبه إلى المدينة سالمين غانمين[2] بعد غياب تسعة وعشرين يوماً، في صفر، وقد استعاد المسلمون بعد هذه المعركة هيبتهم[3].

وفي هذه المعركة انتكأ الجرح الذي أصاب أبا سلمة يوم أُحد، فظل به حتى مات منه لثمانٍ خَلَوْنَ من جمادى الآخرة سنة ثلاث أو

(١) الإصابة ٢/ ٣٣٥، صور من حياة الصحابة (ص ٨٥).
(٢) الطبقات ٨/ ٨٧، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٣.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٢، الطبقات ٢/ ٥٣، الرحيق المختوم (ص ٣٢٥).

أربع[١]. لقد أجهد أبو سلمة نفسه وبذل كل إمكاناته في هذه الموقعة، حيث نزف دمه من الجرح القديم الذي رُمَّ على فساد، ووقف النبي ﷺ على جثمانه وبقي إلى جانبه يدعو له بالخير، فأسبل بيده عينيه وكبَّر عليه تسع تكبيرات، فقيل له: يا رسول الله، أسهَوْتَ أم نسيت؟ قال: لم أسْهُ ولم أنسَ ولو كبَّرْتُ على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذاك[٢].

وروى ابن عبد البر[٣] أن أبا سلمة قال حين حضرته الوفاة: اللهم أخلفني في أهلي بخير، فأخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة، فصارت أماً للمؤمنين، وعلى بنيه من بعده: سلمة وعمر وزينب ودرَّة.

وروى الإمام أحمد في مسنده[٤] عن أم سلمة قالت: «قال رسول الله ﷺ: إذا حضرتم الميت أو المريض فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون. قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، فقال: قولي اللهم اغفر له

---

(١) الإصابة ٢/ ٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٧، تراجم سيدات بيت النبوة (ص٣٢٤)، وفي حديث ابن عباس: أن أول مَنْ يُعطى كتابه بيمينه أبو سلمة. الإصابة ٢/ ٣٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ١٥٠.

(٤) المسند ٦/ ٢٩١.

وأعقبني منه عقبى حسنة. قالت: فقلت، فأعقبني الله عز وجل مَنْ هو خير لي منه محمداً ﷺ».

وتحدثت أم سلمة عن مصابها الجلل بزوجها الحبيب، وكانت تستذكر منه دائماً البر والوفاء وتقول: مَنْ خيرٌ مِنْ أبي سلمة[١]، فقالت: «لمّا مات أبو سلمة قلت: غريب في أرضٍ غريبة، لأبكينّه بكاء يُتَحَدَّث به، وكنت قد تهيَّأْتُ للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: أتريدين للشيطان بيتاً أخرجه الله منه مرتين، فكففت عن البكاء فلم أبكه»[٢].

أولادها:

أولادها جميعاً من زوجها أبي سلمة، وقد مرَّ بنا أنها ولدتهم جميعاً في الحبشة، في الرواية الأولى، وأن سلمة فحسب في الحبشة والباقي في المدينة، حسب الرواية الثانية. أمّا سلمة فهو الذي زوّجَ رسول الله ﷺ بأمه أم سلمة حسب الرواية الثانية، وأمّا الرواية الأولى فإن ابنها عمر هو الذي زوَّجها. قال الذهبي[٣]: «فجزاه ـ أي جزى سلمة ـ النبيُّ ﷺ بعد عمرة القضية بأنْ زَوَّجَه بنت عمه أمامة بنت حمزة» وتوفي سلمة بالمدينة في خلافة عبد الملك، وكان أكبر من أخيه

---

(١) تحفة الأشراف ١٣/ ٢٤.

(٢) تحفة الأشراف ١٣/ ٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٨.

عمر، ولم يكن مشهوراً بالرواية العلمية[1].

وأمّا عمر فهو أبو حفص القرشي المخزومي. وُلد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر، وكان ربيب النبي ﷺ، تعلَّم في بيت النبوة الآداب الشرعية والأحكام، ودأب على سؤال رسول الله ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه[2] أنه سأله: «أَيُقَبِّلُ الصائم؟ فقال له: سل هذه ـ يعني أم سلمة ـ فأخبرته أنه يصنع ذلك».

وأبطل الذهبي[3] ما قاله صاحب «الاستيعاب» من أن مولده بأرض الحبشة سنة اثنتين من الهجرة لأن أبويه كانا في سنة إحدى أو اثنتين بالمدينة، وشهد أبوه بدراً، فأنى يكون مولده في الحبشة سنة اثنتين؟ بل وُلد قبل ذلك بكثير.

حدَّث عمر عن أمه الكثير من الأحاديث، وروى عنه سعيد بن المسيب، ووهب بن كيسان، وقدامة بن إبراهيم، وكان مع علي يوم الجمل. وتوفي سنة ٣٨ هـ، بعد أن طال عمره وصار شيخ بني مخزوم[2].

وأمّا زينب فقد ولدتها في الحبشة[4] ثم أصبحت ربيبة

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٨.
(٢) رقم الحديث ١١٠٨، ١٣ كتاب الصيام، صحيح مسلم ٢/ ٧٧٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٧.
(٤) الطبقات ٨/ ٨٧، سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٦.

رسول الله ﷺ وقد روت عن عائشة وزينب وأم حبيبة أمهات المؤمنين، وروى عنها عروة والقاسم بن محمد وعلي بن الحسين، وتوفيت قريباً من سنة ٤٦ هـ[١].

وذكر في «الاستيعاب»[٢] أن اسمها الأول كان «برة» فسمَّاها رسول الله ﷺ زينب. وثمة رواية عن أم سلمة تقول فيها: فلما وضعتُ زينب جاءني رسول الله ﷺ فخطبني، فقلت: ما مثلي ينكح فلا يولد لي، وأنا غيور، وذات عيال. فقال: أنا أكبر منك، أما الغيرة فيُذهبها الله، وأمّا العيال فإلى الله ورسوله. فتزوجها وجعل يأتيها فيقول: أين زناب؟ وكانت ترضعها أمها. فقال عمار ـ وهو أخو أم سلمة من الرضاعة ـ هذه تمنع رسول الله ﷺ حاجته، فكان يأخذها من أمها[٣]. فهذه الرواية ترجح أن ابنتها زينب لم تولد في الحبشة وإنما في المدينة المنورة لأن زواجها من النبي ﷺ كان سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع[٤].

وقد تزوجت زينب عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي، فولدت له. وتميزت بالجانب العلمي، فكانت من أَفْقَه نساء أهل زمانها. وفي يوم الحرَّة حَدَثت مَقْتَلَةٌ عظيمة في المدينة، وكان مِمَّنْ قُتِل

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠١.
(٢) الاستيعاب ٤/ ٣١٩.
(٣) مسانيد أمهات المؤمنين (ص ٦٣ـ٦٥)، الإصابة ٤/ ٤٥٨ـ٤٥٩.
(٤) تهذيب الكمال ٣/ ١٦٩٩، الإصابة ٤/ ٤٥٨.

ابنا زينب، فحُملا ووُضعا بين يديها مقتولين فقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

ودخلت زينب على النبي ﷺ مرة وهو يغتسل، فنضح الماء في وجهها، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت[2].

وأما درة بنت أبي سلمة[3]، وربيبة النبي ﷺ فيذكر الرواة لها اسماً ثانياً وهو رقية[4].

ويذكر صاحب «الوفيات»[5] أن أم الحسن البصري خيرة مولاة أم سلمة ربما غابت في حاجتها فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة منه من بركة ذلك.

هجرتها إلى الحبشة:

اشتدَّت الوطأة على المسلمين المستضعفين في مكة، وها هي قريش تصب عليهم من صنوف البلاء ما يجعلهم في ضيق شديد من أمرهم من حيث العذاب الجسدي والحصار الشديد عليهم في كل أمورهم، ورسول الله ﷺ لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، فبحث مع

---

(١) الاستيعاب ٤/ ٣٢٠.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) الإصابة ٤/ ٢٩٧.
(٤) نهاية الأرب ١٨/ ١٧٩.
(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٦٩.

أصحابه ليخرجوا إلى أرض الحبشة حيث إن فيها ملكاً معروفاً بالعدل وإنصاف المظلومين إلى أن يجعل الله لهم مخرجاً من أمرهم، فاستجاب المسلمون لهذا العرض من لدن نبيِّهم «مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام»[1].

كان من هؤلاء المهاجرين أبو سلمة وامرأته أم سلمة، وذكر ابن هشام[1] أنهما من العشرة الأوائل، وأن مجموع العدد بلغ ثلاثة وثمانين رجلاً وصلوا إلى الحبشة و «حمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به»[2].

ومما قيل من الشعر في الحبشة لعبد الله بن الحارث[1]:

كلُّ امرئٍ من عباد الله مضطهدٌ ... ببطن مكةَ مقهورٌ ومفتون

إنا وجدْنا بلاد الله واسعةً ... تُنجي من الذل والمَخْزاة والهُون

فلا تُقيموا على ذل الحياة وخِزْ ... يٍ في الممات وعيبٍ غير مأمون

إنا تبعْنا رسول الله واطّرَحوا ... قَولَ النبيِّ وعالُوا في المَوَازين[3]

فاجعل عذابَكَ بالقوم الذين بَغَوْا ... وعائذاً بك أن يَعْلُوا فيُطغوني

والمعروف أن قريشاً أرسلت وفداً إلى الحبشة في طلب المهاجرين، وتألف الوفد من عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠.

(٣) عال في الميزان: خان.

وتروي السيدة أم سلمة حديثاً مطولاً أثبته ابن هشام بنصه[1] تحدثت فيه عن الأمن والاستقرار الذي لحق بهم حين نزلوا أرض الحبشة، وكيف أن قريشاً ائتمرت بهم عند النجاشي، واتهمتهم بالدين المبتدع، ولكنه لم يَفْصِلْ في شيء حتى استدعى المهاجرين إليه، وكان نائبهم بالحديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث شرح للنجاشي معالم عن دينهم وأخلاقهم، وختم حديثه بآيات من سورة مريم.. رفض النجاشي بعدها طلب قريش، وفرح المهاجرون بنصر الله وتثبيته.

وبلغ المسلمين في الحبشة أن الدعوة في مكة قد دنا منها كثيرٌ ممَّنْ كانوا مِنْ قبلُ غير مؤمنين بها، فتحركت نوازع الشوق للعودة، وهتف بهم حب الوطن الأول لمّا بلغهم ذلك، لكن تبين أن الأخبار بُولغ فيها، فما يزال طاغوت قريش مسيطراً على البلاد، ولم يدخل أحد مكة من العائدين إلا بجوارٍ، أو ظلَّ مستخفياً، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين رجلاً وامرأةً، ومنهم أبو سلمة وزوجه أم سلمة، حيث دخلا بجوار أبي طالب، وكان خال أبي سلمة، حيث إن أمَّ أبي سلمة برةُ بنت عبد المطلب[2].

واجتمعت قريش على أبي طالب لإجارته أبا سلمة وقالت: يا أبا

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٩.

طالب لقد منعْتَ ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ فقال أبو طالب : إنه استجار بي، وهو ابن أختي، فانصرفوا عنه.

وبقي أبو سلمة وزوجه في مكة إلى أن أذن الله لهما بالهجرة إلى المدينة ـ كما سيأتي ـ.

* * *

الفَصل الثالث

هجرتها إلى المدينة المنورة

المسلمون في مكة مستَضعَفون يعانون الويل والثبور من طاغوت قريش وصلفها وإيذائها، وقد أبت على نفسها أن تنخلع من ربقة أصنامها، فمضت تسوم أبناء الدعوة من صنوف العذاب والتشريد، ورسول الله ﷺ ماضٍ في طريقه، إلى أن أذن الله لدينه أن ينتشر في بيـوتات المدينة على يد الداعية المجاهد مصعب بن عمير وغيره.

أشار النبي الكريم إلى بعض صحبه بالهجرة إلى المدينة، وكان من هؤلاء الذين أذن لهم: البيت المسلم الذي تربى على الجندية في كنف الدعوة بيت أبي سلمة الذي كان يضمّ الزوجين الصابرين والطفل الوديع سلمة، فمضيا يشتغلان في تجهيز الوسيلة. وفي الوقت المحدد لهذا الغرض انطلقت الأسرة الصابرة: أبو سلمة يقود البعير، وخلفه زوجه، تحتضن طفلها الحبيب سلمة. . بيد أن نظرة من عين مشركةٍ ترمقهما عن قرب، أشاعت الخبر في صفوف القوم في مكة، فمضوا يتنادون، ولحقوا بهم إلى أن ظفروا بقائد الركب أبي سلمة، فأردف رجال بني المغيرة قائلين: هذه نفسك يا أبا سلمة، غلَبْتَنا عليها،

أرأيت صاحبتك هذه! علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

وأتبعوا تهديدهم ووعيدهم بالفعل الشائن، حيث نزعوا خطام البعير من يده، واختطفوا الزوجة المسكينة الصابرة من زوجها الذي لم يكن يملك حولاً ولا طولاً، ليدافع عن زوجه، فالقوم كثيرون، وهو الفرد الواحد.

ثم تطوّر الموقف العصيب ليؤلِّف درجة أشق، وليعلن بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة قائلين: والله لا نترك ابننا عندها.

ولكن كيف تُفَرِّط الأم بفلذة كبدها، فتهبه لهؤلاء المتصايحين القساة الأجلاف ؟ إنها تأبى والقومُ مُصِرُّون على تهديدهم، إلى أن خلعوا يد الطفل البريء.

وانطلق بنو عبد الأسد به، وأمسك بنو المغيرة بأم سلمة، في حين أن أبا سلمة ـ والألم يعتصر فؤاده المكلوم ـ مضى يهوي في وديان مكة وفجاجها، قاصداً المدينة المنورة، بعدما أُكره على هذا الشتات والتفرق عن الأهل.

لله درُّكِ يا أم سلمة، كم عانيْتِ في سبيل هذه الدعوة. رحَلْتِ إلى الحبشة، وأنت صابرة محتسبة. ثم تعزمين على الهجرة إلى المدينة، فيكون موقف القوم منك موقفاً فظاً مريراً، فيتفرّق شمل الأسرة على نحوِ جعل أبا سلمة يغادر مكة، وزوجه تُنزَع منه انتزاعاً، ثم يُفرَّق بين الأم ووليدها سلمة إلى مصيرِ مجهول، فلا غرابة يا أم سلمة إذا

كنت تقولين: «ما أعلم أهل بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة».

والآن ما حال الأنثى الشابة ؟

قالت أم سلمة: «فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي».

وتظل الدموع مسفوحة في أبطح مكة سنة، أو قريباً منها.

وحدث أن مرَّ بها رجل من بني عمها من عشيرة المغيرة، فرقَّ قلبه واستشعر الرحمة والرأفة على حالها، ويبدو أن له كلمة مسموعة عند القوم، فهتف يقول:

«ألا تخرجون هذه المسكينة. فَرَّقْتُم بينها وبين زوجها وبين ولدها».

فوقع كلام الرجل موقع الإجابة من قلوبهم، فسمحوا لها بأن تلحق بزوجها المهاجر إلى المدينة، ووصل الخبر إلى بني عبد الأسد الذين احتجزوا طفلها في العام الماضي فردُّوا إليها ابنها.

فليهنك السَّعْد يا أم سلمة، حيث شعَرتْ وكأن روحها قد رُدَّت إليها، فقد أصبحت حرة، وفي إمكانها أن تلحق بزوجها، وهي في بحبوحةِ سعادة غامرة لأنها تحتضن الآن ابنها الذي ردّوه إلى كنفها.

وكأني بأم سلمة تودُّ لو تغتنم نسمات الفَرَج التي هبّت عليها. ومَنْ يدري فقد يرجع القوم عن قرارهم. إنها عزمت على التحرُّك في

هذه اللحظة صوب المدينة . . قالت : «وما معي أحد من خلق الله» .

وتمشي أم سلمة ببعيرها . ويا لها من سعادة غامره جعلتها تنسى مخاوف الطريق الطويل، حتى وصلت إلى «التنعيم» فلقيت هناك عثمان بن طلحة[1] .

ـ إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ .

ـ أريد زوجي بالمدينة .

ـ أو ما معكِ أحد ؟

ـ ما معي أحد إلا الله وبُنَيَّ هذا .

ـ والله مالك من مَتْرَك .

وعزم الرجل على الرحيل معها ليوصلها إلى مأربها، ويقطع بها المفاوز والبراري . . وكيف كان الرجل ؟ تقول أم سلمة :

«فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نَزَلْتُ استأخر بعيره فحطّ عنه، ثم قيّده في الشجر، ثم تنحّى إلى شجرةٍ فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري، فقدّمه ثم استأخر عني وقال :

(١) عثمان بن طلحة حاجب البيت الحرام، واسمه عبد الله بن عبد العزّى، كان في هذا الوقت كافراً، وإنما أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، واستشهد بأجنادين سنة إحدى وأربعين ـ انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٠ .

اركبي. فإذا ركبْتُ أخذ بخطام البعير فقادني، فلم يزل يصنع ذلك بي، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة[1].

ويجتمع شمل الأسرة الصغيرة من جديد، وتنقشع سحب سوداء جثمت على صدرها زمناً طويلاً، وتقرُّ عين أم سلمة بزوجها، وها هي تلتقي به بعد طول شتات وفراق. ويرى أصحاب السيرة أن أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة المنورة مهاجرة. ويرى آخرون أنها ليلى بنت أبي حثمة[2].

* * *

(١) انظر الخبر في: مسند أحمد ٦/ ٣٠٧، طبقات ابن سعد ٨/ ٩٣، أسد الغابة ٥/ ٨٨٥، الإصابة ١٣/ ٢٢٣، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٦، الاستيعاب ١٣/ ٢٣١، حياة الصحابة ١/ ٣٥٨.

(٢) السمط الثمين (ص ٧١).

الفَصل الرابع

زواجها من النبي ﷺ

كان الزوجان السعيدان أبو سلمة وأم سلمة يتسارّان. وذات يوم قالت لزوجها: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، ثم لم تتزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك أن لا تتزوج بعدي، وألا أتزوج بعدك. قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم، قال: إذا مِتُّ تزوجي. اللهم ارزق أمَّ سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها[1].

وعن أم سلمة قالت: «أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ، فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به، قال: لايصيب أحد من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أجِرْني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها إلا فُعل به. فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، ثم رجعت إلى نفسي فقلت:

---

(١) الطبقات ٨/٨٨، سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٢.

قالت: مِنْ أين لي خيرٌ من أبي سلمة»[1].

ولمّا انقضت عدَّتها خطبها أبو بكر فردَّته، ثم خطبها عمر فردَّته، ثم استأذن عليها الرسول ﷺ. . ـ قالت: «وأنا أدبغ إهاباً لي، فغسلت يدي من القرظ ـ الدِّباغ ـ وأَذِنْتُ له، فوضعتُ له وسادة أدم حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني» ـ. . ورحَّبت أم سلمة برسول الله ﷺ، وأخبرته أن ثمة عقبات ثلاثاً: واحدة شرعية، والثانية اجتماعية، والثالثة نفسية.

أمَّا العقبة الشرعية فهي تود أن تناقش الأمر مع أوليائها ليشهدوا هذا الزواج. وأمّا العقبة الاجتماعية فرجالها في مكة، فقال رسول الله ﷺ: يزوجك ابنك، ويشهد لك رجال من أصحاب الرسول ﷺ.

وكان صداقها كصداق عائشة رضي الله عنها، صحفة كثيفة، وفراش حشوه ليف، ورحى.

وأما العقبة النفسية فهي ما تعرفه من نفسها، فهي تغار، وهي كذلك متقدمة في السن، وهي ذات عيال مُصبية. فأجابها الرسول ﷺ: أمّا الغيرة، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك وأمّا كونك متقدمة في السن، فأنا أكبر منك، وأمّا الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي وأمّا مسألة

---

(١) الطبقات ٨/ ٨٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٠، حياة الصحابة ٢/ ٥٩٤.

العيال، فإن الله سيكفيك صبيانك، وعيالك عيالي[1].

فرحَّبت أم سلمة بذلك وقالت: قم يا عمر - وهو ابنها - فزوِّجْ رسول الله ﷺ[2]. . ثم قالت: لقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه: رسول الله ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٤، الطبقات ٨/ ٩٨، أسد الغابة ٥/ ٥٨٩، الإصابة ١٣/ ٢٢٣، حياة الصحابة ٢/ ٦٥٦.

(٢) قال صاحب السمط: «زوَّجها ابنها، فيه دلالة على أن الابن يلي العقد على أمه. وعندنا أنه إنما زوَّجها بالعصوبة لأنه ابن عمها لأن أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، وأم سلمة بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله، ولم يكن من عصبيتها أحد حاضراً غيره» - انظر السمط الثمين (ص ٧٤).

وحقق ابن القيم رحمه الله في اسم ابنها الذي زوَّجها، حيث إنهم يذكرون أنها قالت لابنها عمر: قم فزوِّجْ رسول الله ﷺ، حيث يقول في «زاد المعاد»: وفي هذا نظر فإن عمر هذا كان سنه لمّا توفي الرسول ﷺ تسع سنين، ولمّا تزوجها عمره ثلاث سنين، ومثل هذا لايزوِّج. وقد يكون عمر هذا عمر بن الخطاب ابن عمها في شجرة النسب حيث إن نسبيهما يلتقيان في كعب الجد البعيد لهما، فظن بعض الرواة أنه ابنها. وإن ثبت أنه عمر ابنها فيحتمل أن يكون قاله على وجه المداعبة للصغير». ثم قال ابن القيم: «ورسول الله ﷺ لايفتقر نكاحه إلى ولي». قال ابن عقيل: «ظاهر كلام أحمد أن النبي ﷺ لايشترط في نكاحه الولي، وأن ذلك من خُصائصه» - انظر زاد المعاد ١/ ٤١.

وثمة رواية تفيد أنّ رسولَ رسول الله ﷺ إليها كان حاطب بن أبي بلتعة[(١)].

وقد دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة[(٢)]، في شوال أو في جمادى الآخرة، وقيل: سنة ثلاث[(٣)]. وقيل: سنة اثنتين بعد معركة بدر[(٤)]. وعاشت بعد ذلك ستين سنة[(٥)]. وكانت آخر نسائه وفاةً[(٦)].

وذكر في «الإصابة»[(٧)] أنّ الحديثَ في أمر الزواج بينها وبين رسول الله ﷺ كان بعد أن وضعت ابنتها زينب وكانت ترضعها.

ولقد ضم رسول الله ﷺ أم سلمة إلى أمهات المؤمنين تكريماً لها، ورَفْعاً لمكانتها، ومواساةً لها.

وقد دخلت على رسول الله ﷺ أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن[(٨)].

---

(١) السمط (ص ٧٢).
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٢.
(٣) أسد الغابة ٥/ ٥٨٨، تقريب التهذيب (ص ٧٥٤).
(٤) تهذيب الكمال ٣/ ١٦٩٩.
(٥) أسد الغابة ٥/ ٥٨٨.
(٦) أزواج النبي ﷺ لابن زبالة (ص ٦٤).
(٧) الإصابة ٣/ ٢٢٤.
(٨) الطبقات ٨/ ٩٢.

وقد نقلها رسول الله ﷺ إلى بيت زينب أم المساكين.

وأتاها رسول الله ﷺ مرة ليدخل بها، وكانت زينب في حجرها، فانصرف رسول الله ﷺ، فعلم ذلك عمار بن ياسر ـ وكان أخاها من الرضاعة[1] ـ فذهب عمار بزينب، فدخل عليها رسول الله ﷺ فجعل يضرب ببصره في نواحي البيت، فقال: ما فعلت زُناب؟ قالت: جاء عمار فأخذها فذهب بها، فدخل بها رسول الله ﷺ وقال: إن شئتِ سَبَّعْتُ لك، وإن شئتِ ثلّثت[2].

وكان ﷺ يداعب ابنتها زينب، حيث ضمّها إلى كنفه. ويذكرون أنه دخل مرة إلى بيته، وكان الظلام شديداً، فتعثّرت قدمه بقدم ابنتها زينب فصاحت، فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ قالوا: زينب. ثم دخل عليها ليلة أخرى في ظلمة، فقال: انظروا زينب هذه لا أطأ عليها[3].

ورب سائل يسأل: ما الحكمة من زواج النبي ﷺ بأم سلمة؟ فالجواب أن ثمة حكمة عامة، وحكمة خاصة بها.

أما الحكمة العامة فتنطبق على تعدد زواجه بأمهات المؤمنين جميعاً وهي الرغبة في تخريج معلمات وداعيات من بيت النبوة، ينقلن إلى المجتمع التفصيل العملي لحياة الرسول ﷺ في بيته الكريم. ومن

---

(١) السمط (ص ٧٤).

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/ ٢٩٤.

(٣) أزواج النبي ﷺ لابن زبالة (ص٦٢).

المعروف أن أمهات المؤمنين كُنَّ يُعَرِّفْنَ المسلمين والمسلمات بدقائق سُنَّةِ النبي ﷺ كما رأيْنَها منه. وكم من امرأة مسلمة منعها الحياء أن تسأل النبي ﷺ، وكان هو نفسه أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، فالطريق الطبيعية لشرح أحكام المرأة أن تتولى أمهات المؤمنين أمر الشرح العملي لأحكام التشريع. وتلكم هي مسانيد أمهات المؤمنين في كتب السنة مفعمة بسنة النبي ﷺ في سلمه وحربه، وصيامه وفطوره، ومأكله ومشربه، وحياته مع زوجاته، وعلاقاته بالناس.

أما الحكمة الخاصة فتبدو في أن أمَّ سلمة غدت بعد وفاة زوجها المجاهد أبي سلمة من غير زوج يعيلها أو أحد يكفلها، وهي، مع زوجها، منحا هذه الدعوة كل ما يملكانه من طاقة، وكان لها أيتام أربعة، فأراد النبي ﷺ أن يعزيها ويكرمها ويكفلها، فكانت منه هذه اللفتة الحانية والتكريم الرفيع.

* * *

الفَصْلُ الخامِسُ

صفاتها

لا شك أن هناك قاسماً يجمع بين أمهات المؤمنين، وذلك لأن قُرْبهُنَّ من البيت النبوي الكريم منحهنّ خصائص عظيمة من التربية والخبرة والطهر، بيد أن كل واحدة منهن اتسمت بِسِمَة مميزة تبوّأت من خلالها فضلاً خاصاً عُرفت به، وسوف نعرض الآن للصفات الخاصة لأم المؤمنين أمّ سلمة التي تميزت بها، واشتهرت من خلالها، وليس معنى ذلك أن باقي زوجات النبي ﷺ خلَوْنَ من هذه الصفات، وإنما يعني أن هذه السيدة الجليلة حباها الله خصائص تجعلها مكتسبة لها على نحوٍ أجلى من غيرها، أو هي في تلك الصفة ذات منزلة متميزة.

١ ـ رجاحة عقلها:

ينطوي الفرد المتميز على عناصر بارزة تُكسبه هذا التميّزعن الآخرين وتجعله متخصصاً بسمات معينة يشتمل عليها. والسيدة الفاضلة أم سلمة تميزت بِسِمَةِ الرجاحة في العقل وسداد الرأي،

والنظرة الصائبة البعيدة التي تعتمد على الربط بين الأشياء واستنباط الفتوى التي تستوعب الحدث الجاري.

ولدى التأمل في العوامل الطبيعية الوراثية نجد أنها سليلة آباء كرام سادة، وكثيراً ما يَسُودُ الرجل قومَه بفعل عناصر تفوّقِهِ ورجاحة عقله وسداد رأيه. وليس غريباً أن تكون هذه السيدة قد أفادت من أصولها الطبيعية، من آبائها وأجدادها القريبين والبعيدين، بسبب العوامل الوراثية فأبوها مثلاً ـ كما مرَّ بنا ـ سهيل المعروف بزاد الركب، وجدُّها البعيد علقمة جِذْل الطعان.

ثم أضيف إلى ذلك أنها قبل أن تأتي إلى بيت النبوة كانت لَبِنَة فاعلة من لَبِناتِ الدعوة والدعاة. إنها زوجة المجاهد الذي امتلك الحيوية والعطاء الرحب عندما تشرَّف بالدعوة إلى الله، إنه أبو سلمة حيث صحبته يوم أن كان يافعاً في مكة، وعانت معه جَوْرَ قريش وعنَتَها، واصطلت بنار حربها الشعواء، كما كانت شريكته عندما هاجر إلى الحبشة أيام محنة الدعوة، وكانت معه حين جاء الإذن لهذا البيت المسلم أن يهاجر إلى محضن دولة الإسلام.. المدينة المنورة. وظلت أم سلمة مع أبي سلمة تكتسب الخبرات العقلية والعناصر الفاعلة في بناء الشخصية المسلمة، إلى أن رحل عنها زوجها المجاهد بعد أن أكسبتها الحياة معه بُعْداً في الدعوة والحركة، وأَثْرَتْ بناءها الفكري بدفعات منحتها عمق التجربة وفهم الواقع وحسن التصرف.

وأم سلمة قريبة قرباً دانياً من مدرسة النبوة فقد عاشت مع قائد

الدعوة معيشة مباشرة، وشهدت جوانب من تخطيطه، وسمعت معالم من حواره وجدله، ورأت بأم عينها مراحل تطور الدعوة في عهد قيام الدولة الإسلامية وما صاحبها من أحداث في السلم والحرب. ومثل هذه التربية البنائية تدعم العقول التي لديها استعداد فطري لنهضتها ورقيها وذلك لأنها تدرك كيف تَصرَّفَ القائد مع هؤلاء، ولماذا ؟ ومتى أبطأ أو أسرع، وهل لانَ أو حَزَم ؟ إن لها كل يوم درساً تضيفه إلى ما تراكم في تجاربها وخبراتها. ومن المعلوم أن جانب التدبير والتصرف والتخطيط في بيت النبوة مَعْلَمٌ بارزٌ من معالم هذا البيت.

وما أعظم النتيجة إن حظي هذا بعناية الوحي وتسديده !!.

وتلقَّفت أم سلمة هذه العوامل الفاعلة؛ العوامل الطبيعية، وخبرتها في البيت المسلم، ثم ما اكتسبته في بيت النبوة، فأضافت إلى ذلك كله بعد وفاة الرسول ﷺ كونها مرجعاً من مراجع المسلمين في الفتوى والفقه والمشورة، وهي ما انفكَّت كذلك تعيش مع المسلمين في مشكلاتهم، وسطوع نجم دولتهم. ويقيناً أن هذه السيدة الفاضلة لم تلحق بالرفيق الأعلى إلا وقد بلغت من النضج والفكر والتجربة والفهم شأواً بعيداً.

ونودُّ الآن أن ندرس بعض المواقف من حياتها العملية التي تُفصح عن هذه السمة التي تميزها:

موقف الحديبية :

في شهر ذي القعدة، وفي آخر سنة ست للهجرة أعلن النبي ﷺ أنه متوجه إلى مكة معتمراً، فتبعه جمعٌ كثير من أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقد بلغ عددهم ألفاً وأربعمئة، وأحرم قائد الدعوة بالعمرة وساق معه الهدي ليأمن الآخرون من حربه، وليعلموا أنه خرج قاصداً البيت فحسب، فاعترضَتْه قريش وهو في الحديبية، وجاءه منهم من أخبره أن قريشاً هذه سوف تصدُّه عن البيت، وأوفدت من طرفها عروة بن مسعود أولاً، ثم سهيل بن عمرو ثانياً. وتطوَّرت الأحداث وتلاحقت ليكتب قائد المسلمين مع هذا الأخير وثيقة صلح سايرهم من خلالها على بعض المعاني. وكان ممّا اشترطتْه الوثيقة أن تكون عمرته في العام القادم.

واطَّلَع المسلمون على شروط الصلح، وأصابهم وجوم شديد مَثَّله عمر بن الخطاب قائلاً :

ـ ففِيمَ نعطي الدنيَّة في ديننا؟

لقد درس رسول الله ﷺ، المسدَّد بالوحي، الموقف من أطرافه، ورأى أنَّ في هذه الوثيقة نصراً عظيماً.

ومعروف أن لصلح الحديبية فوائد عظيمة تحققت في مسيرة الدعوة الإسلامية فقد عبرّ عنه القرآن الكريم بالفتح، ولكن المشكلة أن جموع المسلمين أصابهم ذهول شديد فكانوا يردّدون :

ـ أليس محمد نبيَّ الله حقاً ؟

ـ أليس على حق، وعدوّه على باطل ؟

ـ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟

وهذه الشروط تغرس فيهم الدنيَّة على ظاهرها، فها هي قريش تمنعه أن يبدأ بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لأنها لا تدري ما الرحمن، ومنعته أن يطوف بالبيت. وكيف يكون هذا وقد تجهَّز المسلمون لهذه الغاية وخرجوا من المدينة لأجلها ؟ كما نصَّتْ الوثيقة على أنه إذا جاء إلى المدينة مسلم مِنْ قِبل قريش ردَّه، وإذا جاء إلى قريش مسلمٌ لم تردَّه.

هذا، ومعسكر المسلمين في ذهول ووجوم وحَيْرة وإحباط، وهو غارق في التساؤل والتعجّب. ومعاذ الله أن يتجاوز الجند في المعسكر هذا الحد. بيد أن هذه الدائرة التي وقع فيها الصف لجديرة أن تُكسب القلب فتوراً وألماً وضيقاً وبروداً، مع تقاعس عن الحركة والاستجابة. فماذا حدث في هذه الأجواء العصيبة التي تختلف فيها الاستعدادات وثمرات التربية ؟

هذا رسول الله ﷺ يفرغ من مسألة كتابة وثيقة الصلح ويشرع في الوفاء بأحد بنودها التي تنص على العودة من غير عمرة وطواف بالبيت، ووقف أمام أصحابه آمراً:

ـ «قوموا فانحروا ثم احلقوا».

ورددها ثلاث مرات، ولكن لم يستجب واحد منهم، وما أصعب

أن يلمس القائد من جنوده تباطؤاً وتقاعساً وبروداً، وهو الذي علمه تاريخ الدعوة معهم أن له في أصحابه المحبين والمجاهدين والبررة. فشقَّ عليه ذلك فقال: «هلك المسلمون، أَمَرْتهُم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا»[1].

وكثيراً ما يفزع الرجل في المواقف العصيبة إلى زوجته التي يلقى منها السند الركين والدعم الأكيد والجانب الشفوق، فذكر ما لقي من صحبه.

رعاك الله يا أم سلمة «فإن رب العالمين يجلي عن الناس بك[1]».

رعاك الله أيتها السيدة الفاضلة التي تعيش قضايا الدولة ومسيرتها، وتملك موروثاً تراكمياً من الخبرات، وبُعْدَ النظر، وحصافة الرأي فتدلي برأي سيكون له شأن عظيم.

يا نبي الله، أتحب ذلك ؟.. اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة، حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلق لك.

وتقول له:

يا رسول الله، لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مّما أدخلْتَ على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح[2].

---

(١) فتح الباري ٥/ ٣٤٧.

(٢) فتح الباري ٥/ ٣٤٧.

إن هذا الرأي الذي صدر عن السيدة الفاضلة يصدر عن توازن دقيق، وإعطاء كل موقف ما يستدعيه، فليس الموقف موقف جدل وحوار، وليس موقف: تعالوا لأشرح لكم أهمية الصلح وفوائده، تعالوا لأقنعكم ببنوده بل إن الموقف يستدعي من القائد أن يطبق أوامره على نفسه لتنقشع عناصر البرودة والإحجام والوجوم في نفسية الناس إذا رأوا قائدهم ينفذ هذه الأوامر على نفسه.

إنهم ـ معاذ الله ـ لم يقعوا في دائرة التمرد والمعصية، وإنما اجتاحهم ضرب من الذهول الذي يصيب النفس إذا وجدت أمراً لم تتوقعه.

وحدث الذي توقعته أم سلمة «فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً»(١).

إن تطبيق وسيلة القدوة الحسنة أمام أنظار المدعوين درس عظيم للدعاة ينبغي أن يتمثلوه في دعوتهم إن أرادوا لها النجاح والفلاح والقبول من المدعوين(٢)، وهذا هو الذي تنبهت له السيدة الفاضلة أم سلمة، وتحقَّق له نجاح عظيم.

---

(١) وقد أفاد عملهم هذا أن المحصر يجوز أن يتحلل حيث أحصر ويحلق، ثم ينوي التحلل مما كان قد أهلَّ به، سواء كان حجاً أو عمرة ـ انظر: فقه السيرة (ص ٣٢٩).

(٢) انظر: صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة (ص ١١٦).

إن الرأي اللامع في الأجواء الصعبة الشاقة يمكن أن يدفع بمسيرة الدعوة إلى الأمام، وهذا الرأي اللامع قد تنفرد به امرأة ذات خبرة عريضة في مشكلات الدعوة وقضاياها كما مرَّ بنا في موقف الحديبية. وبعض الدعاة اليوم يجزمون في واقعهم الحركي أن لا مجال لاستشارة المرأة مهما بلغت في مستوى النضج الدعوي في الرأي فلا يسألونها ولا يحاورونها ولا يطلبون منها المشورة، وهذا حَيْف وجَوْر.

أرأيتم أيها الدعاة كيف جلَّ الله عن الأمة في هذا الموقف العصيب بامرأة، ولكن مَن هي تلك المرأة؟ إنها أم سلمة، ولعلنا لا نعدم أمثال هذه المرأة في كل عصر وفي كل مكان، حسبما يمنحها الله من تجربة ورأي ومعرفة.

موقفها من خروج عائشة يوم الجمل:

لقد فتحت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه باب الفرقة في الأمة، وقد حار الناس في طريقة مواجهتها، واختلفت وجهات نظر الصحابة في التعامل معها ومعاقبة المجرمين التي اقترفت أيديهم الآثمة فِعْلها.

والسيدة عائشة رضي الله عنها أصبحت ـ بما لديها من مكانة رفيعة ـ يستشيرها الناس في شؤونهم، واضطرت إلى خوض غمار الأحداث. وليس صحيحاً ما روَّجه بعض الكُتَّاب بأن السيدة عائشة كانت على جفاء مع علي رضي الله عنه قبل الخلافة[1].

---

(١) وقد رَدَّ الشيخ عبد الحميد طهماز على هذه التهمة الظالمة ـ انظر: =

واجتهدت عائشة في مواجهة هذه الفتنة، وحدث عكس ما تريد، فقد حمي القتال يوم الجمل ورأت دماء المسلمين تُسْفَك من حولها، وقد تأثَّرَتْ كثيراً بما حدث، وأُصيبت بخيبة أمل مريرة حيث لم يتحقق لها ما تريد[1].

ونعود إلى أم سلمة التي كانت مدرسة أخرى غير مدرسة عائشة رضي الله عنهنَّ، فقد أدركت أم سلمة ما لم تدركه عائشة، ورأت بعقلها الراجح ورأيها السديد أن خروجها سوف يزيد الطين بلَّة، ومقام أمهات المؤمنين في القعود أنسب من الخروج. ونود الآن أن نستعرض هذه الوثيقة الرفيعة التي هي عبارة عن كتاب وجَّهَتْهُ أم سلمة لعائشة في هذه المناسبة. وتكشف الوثيقة عن فهم عميق لمجريات الأمور، كما تكشف عن قدرة أم سلمة على الحوار والجدال، وتنبىء عن ملكتها العقلية على نحوٍ واضح، تقول[2]:

= «عائشة» ـ من سلسلة أعلام المسلمين (ص ١٣٩).

(١) يقول الأستاذ سعيد الأفغاني: «قلَّبْتُ صفحات التائبين والنادمين فما رأيت حسرة أشد من حسرتها، ولا توبة أصدق ولا أخلص من توبتها، وكانت تُكثِر أن تقول: لأن أكون قعدت في منزلي عن سيري إلى البصرة أحبُّ إليَّ أن يكون لي عشرة من الولد ـ انظر: عائشة والسياسة، نقلاً عن كتاب «عائشة» من سلسلة أعلام المسلمين (ص ١٤٧).

(٢) أعلام النساء لكحالة ٥/ ٢٢٥.

«من أم سلمة زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو». ثم عمدت إلى إثارة عاطفتها الإسلامية فذكَّرتها بالله والقرآن: «فقد جمع القرآن ذيلك فلا تَنْدَحيه، وسَكَّنَ الله من عُقَيْراك فلا تُصْحِريها» فهي لم تهجم على موضوع مطالبتها بالكفِّ عن التدخل وإنما مَهَّدَتْ لذلك بمخاطبة عاطفتها الإسلامية: «فأنت ابنة القرآن الذي غمرك بتربيته ولاحظك بتوجيهه، وأنت كذلك خصَّك الله بنعمه وفضله».

ثم شرعت أم سلمة تثير عاطفة الحياء الشخصية التي هي أساس ركين لدى الأنثى، فكيف إذا كانت الأنثى أمّاً للمؤمنين؟ «ما كنتِ قائلة لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصَّةً قعوداً من منهل إلى منهل». فأنت زوجة نبي الله، فلو افْتُرِضَ أنه يرمقك بناظريه عبر الفلوات التي عزمت على قطعها فماذا تقولين له ؟ فإذا كنت تتحرجين من الخروج وقت حياته، فهل الأمر مختلف بعد ذلك ؟

وتستخدم أم سلمة من الحُجَجِ ما يجعلها تقدِّم صورة الخروج أمام عائشة مَوَّارة بالحركة والإثارة، وذلك شأن المجادل الذي يُنَوِّع في أساليبه ليحيط خصمه بضرب من حالةِ سَدِّ المنافذ، فتستخدم أسلوب القسم وأسلوب الافتراض، وتجمع بين تعظيم مقام رسول الله ﷺ ومنزلة أمهات المؤمنين: «وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة، ادخلي

الجنة، لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه علي».

وتُبيِّن بعد ذلك الحكم الشرعي لخروج النساء، لتضيف إلى عناصر جدلها عنصراً جديداً، وهو الحجة الشرعية المستندة إلى واقع الفطرة البشرية والمعرفة بمَعْدِن النساء: «لو علم رسول الله أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك. أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة في الدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إنْ مالَ، ولا يرأب بهن إن انْصَدَع، جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول وقصر المودّة»، وذَكّرتها بعد ذلك بمكانتها من رسول الله ﷺ وقربها منه: «فقد هَتكْتِ سترة بين رسول الله ﷺ وأمته حجاب مضروب على حرمته».

ويقيناً أنّ وراء هذه الكلمات عقلاً مدبراً، فلم تكتفِ بالقول بأن لا تخرجي فخروجك أراه غير جائز، وإنما استلمت ناحية القول وخيوط البيان وعناصر الجدل بأصابعها، فمضت توجهها بالحجة والبرهان العقلي. وأرباب هذه المَلَكة لا يكتفون عادةً بإثارة جانب دون جانب، وإنما يعتمدون خطة متوازنة ذات عناصر متعددة متحدة لأداء دورها المطلوب، فموقف عائشة لدى أم سلمة فيه نظر، ولا بدَّ من التنبيه والتركيز على جانب عقلي وفقهي شرعي وشخصي، ومن هنا جاءت قوة الكتاب وتوازن عناصره.

وبعد أن استكمَلَت خيوط الحجة انتهت إلى غايتها التي تقصدها قائلة: «أيَّ خروج هذا الذي تخرجين. اللّـهَ من وراء هذه الأمة. لو

سَرتُ مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أنْ ألقى محَمداً هاتكةً حجاباً قد ضربه عليَّ».

٢ـ علمها و مجاهرتها بالحق ومنزلتها:

تعدُّ أم سلمة من الصحابيات الفقيهات العالمات بأحكام الشرع ومقاصده. ولا غرابة في ذلك فهي ما انفكّت تنهل من مدرسة النبوة على نحو مباشر وغير مباشر، وهي من الذين دخلوا في دين الله مبكرين، ثم أصبحت زوجاً للنبي ﷺ فسمعت منه أحاديثه القولية، وشهدت وقائع الأحاديث الفعلية. هذا بالإضافة إلى ملَكاتها الفطرية في الفهم والنباهة، وكونها باشرت الفتوى والرواية، فكانت مرجعاً للصحابة والتابعين، يسألونها عما بدر لهم من مشكلات وقضايا تهُمّ الأمة.

وأم سلمة في مجال الرواية روت عن النبي ﷺ وعن أبي سلمة وعن فاطمة بنت محمد ﷺ. وروى عنها ابنها عمر وابنتها زينب وأخوها عامر ومكاتبها نبهان[١] ومواليها عبد الله بن رافع[٢]

---

(١) نبهان القرشي المخزومي، أبو يحيى المدني مولى أم سلمة. روى عنها وروى عنه عبد الرحمن مولى آل طلحة، والزهري، ذكره ابن حبان في الثقات، روى له الأربعة. انظر: تهذيب الكمال ٣/١٤٠٦.

(٢) عبد الله بن رافع بن سويد الأنصاري الظفري شهد أحداً. انظر: الإصابة ٣/ ٣٠٤.

وسفينة[1] وخيرة والدة الحسن[2] وصفية بنت شيبة[3] وهند بنت الحارث[4] وقبيصة بن ذؤيب[5] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[6] وأسامة بن زيد[7] والأسود بن يزيد[8] وأبو عثمان النهدي[9] وسعيد

---

(١) مولى رسول الله ﷺ، أبو عبد الرحمن، كان عبداً لأم سلمة فأعتقته، اسمه مهران أو رومان توفي سنة سبعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٢.

(٢) خيرة مولاة أم سلمة، روت عنها وعن عائشة، وروى عنها ابنها الحسن وأخوه سعيد، روى لها الجماعة سوى البخاري. انظر: تهذيب الكمال ٣/ ١٦٨٢.

(٣) الفقيهة العالمة، روت عن النبي ﷺ وعائشة وأم سلمة وأمهات المؤمنين، وروى لها أبو داود والنسائي. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٠٧.

(٤) هند بنت الحارث الخثعمية، امرأة عبد الله بن شداد. انظر: تهذيب الكمال ٣/ ١٦٩٩.

(٥) الإمام الفقيه الخزاعي، روى عن أبي بكر وعمر، وكان عالماً بالقضاء. توفي سنة ٨٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٢.

(٦) المخزومي، روى عن عمر وعثمان وعلي وأبيه، توفي قبل معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٦٨٤.

(٧) أمير الجيش العظيم الذي عينه الرسول ﷺ أميراً عليه، وأنفذه أبو بكر. مات في أواخر خلافة معاوية. الإصابة ١/ ٣١.

(٨) أبو عمرو الكوفي، حدَّث عن معاذ وابن مسعود وعائشة وحذيفة، توفي سنة ٥٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠.

(٩) الإمام الحجة، حدَّث عن جماعة من الصحابة مثل عمر وعلي وابن =

ابن المسيب[1]، والتابعي أبو سلمة[2] وحميد[3] ولدا عبد الرحمن بن عوف وحبيب بن أبي ثابت[4] وعروة[5] وأبو بكر بن عبد الرحمن[6] وسليمان بن يسار[7]، وشقيق بن سلمة[8]، وأبو صالح

= مسعود وبلال وسلمان، شهد اليرموك. توفي سنة ١٠٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٥.

(١) العَلَم المعروف وسيد التابعين، سمع من عثمان وعلي وعائشة وأم سلمة. توفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧.

(٢) عبد الله بن عوف، تابعي، حدَّث عن أبيه، وأسامة بن زيد، وعائشة، وأم سلمة، وابنتها زينب. توفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٧.

(٣) فقيه تابعي حدَّث عن أبيه وأبي هريرة وابن عباس ، توفي سنة ٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٣.

(٤) شيخ التابعين، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة، توفي سنة ١٠٣ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٦.

(٥) التابعي، حدَّث عن أبيه وأمه أسماء وخالته عائشة، توفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١.

(٦) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، حدَّث عن أم سلمة وعائشة، توفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٦.

(٧) الفقيه المدني، حدَّث عن زيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة، توفي سنة ١٠٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٤.

(٨) شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي، حدَّث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأمهات المؤمنين، توفي سنة ٨٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٦١.

السّمان[١]، ومجاهد[٢]، ونافع بن جبير[٣]، وعطاء[٤]، وشهر بن حوشب[٥]، وابن أبي مليكة[٦]، وعبد الملك بن مروان[٧]، والشعبي[٨].

---

(١) ذكوان بن عبد الله، مولى أم المؤمنين جويرية، من علماء المدينة، وُلد في خلافة عمر، سمع من سعد وعائشة وأم سلمة وأبي هريرة، توفي سنة ١٠١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦.

(٢) شيخ التابعين، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة، توفي سنة ١٠٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩.

(٣) الفقيه الحجة، أبو محمد، روى عن أم سلمة وعلي وأبي هريرة وابن عباس، توفي سنة ٩٩ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥١.

(٤) عطاء بن مسلم المحدِّث، نزيل دمشق والقدس، توفي سنة ١٣٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٠.

(٥) أبو سعيد الشامي، تابعي، حدَّث عن أم سلمة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس. توفي سنة ١٠٠ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢.

(٦) زهير بن عبد الله، أبو بكر القرشي، كان قاضياً لعبد الله بن الزبير، روى عن أم سلمة وعائشة، توفي سنة ١١٧ هـ. انظر: تهذيب الكمال ٢/ ٧٠٧.

(٧) الخليفة الأموي الفقيه، سمع عثمان وأبا بكر وأم سلمة، توفي سنة ٨٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦.

(٨) عامر بن شراحيل، أبو عمرو، تابعي من الكوفة، حدَّث عنها وعن عائشة وأنس، وهو من رجال الحديث الثقات، توفي سنة ٣٠١ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٤٤. وانظر خبر مَنْ روى عنها في: مسانيد أمهات المؤمنين (ص٣٧)، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٢، تهذيب =

وكانت أم سلمة سبباً مباشراً لنزول بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم، حين كانت تحاور الرسول ﷺ في بعض القضايا التي كانت طرفاً فيها. سألته مرة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

وقالت أم سلمة[2]: قلت للنبي ﷺ: مالنا لا نُذْكَر في القرآن كما يُذْكَر الرجال؟ قالت: فلم يَرُعْني منه يومئذٍ إلا ونداؤه على المنبر قالت: كنت أسرِّح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حُجْرَةٍ من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: يا أيها الناس إن الله يقول في كتابه:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

وعنها قالت[4]: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة

= الكمال٣/١٦٩٩، وفيات الأعيان ٢/٣٩٩، أعلام النساء ٥/٢٢٦، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٢.

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٣٢٢، والآية ٣٢ من سورة النساء.

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/ ٣٠٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

(٤) فتح القدير ١/ ٤١٣.

بشيء، فأنزل الله ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾[١].

ويذكر المؤرخون أن أم سلمة كانت تقرأ ولا تكتب[٢].

وذكر الذهبي أن مسندها يبلغ ثلاثمئة وثمانين حديثاً[٣]، وقد اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر[٤]. وقد روت كثيراً من الروايات التي تدور حول أحداث السيرة[٤].

ومما روته من الأحاديث عنها: «أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها فقال: يا أُمَّه قد خفت أن يهلكني مالي، أنا أكثر قريش مالاً. قالت: فأنْفقْ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن مِنْ أصحابي مَنْ لا يراني بعد أن أفارقه. فخرج عبد الرحمن فلقي عمر فأخبره بالذي قالت أم سلمة. فدخل عليها عمر فقال: بالله مِنهم أنا؟ فقالت: لا ولا أُبرِّئ أحداً بعدك»[٥].

وقد روت أم سلمة الأحاديث الخاصة بمعشر النساء بغرض

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٢) أعلام النساء ٥/٢٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٠.

(٤) انظر: حياة الصحابة ٣/٤٨، ٢٢٢، ٣٠٧، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٦٤، ٦٦٦.

(٥) حياة الصحابة ٢/ ٢٦٥.

التعليم والتوجيه، فقد روت عنه ﷺ أنه كان يقبِّلها وهو صائم، وأنها كانت تغتسل معه من الإناء الواحد من الجنابة، وأنها كانت نائمة معه في اللحاف فحاضت.. فقال لي: أنفسْتِ؟ قلت: نعم. قال: قومي فأصلحي حالك ثم عودي. فألقيت عني ثيابي، ولبست ثياب حيضتي ثم عدت فدخلت معه اللحاف[١].

وتدور الأحاديث التي روتها أم سلمة عن الرسول ﷺ حول طهوره وصيامه ولباسه وحياته في بيتها، وعن فروض الإسلام وحجاب المرأة وقضاياها[٢]. كما روت أوجه القراءة بالقرآن الكريم، ومن ذلك روايتها للبسملة مع لفظة الحمد بعدها، بسكون ميم الرحيم والوقوف عليها ثم الابتداء بقطع ألف الحمد[٣].

وعُرفت أم سلمة بمجاهرتها بالحق، ومن شواهد ذلك، أن معاوية حين تولى الخلافة أرسَلَت إليه بشأن لَعْن علي من فوق المنابر قائلة: إنكم تلعنون الله ورسوله من فوق منابركم، ذلك أنكم تلعنون علياً ومَنْ أَحَبَّه، وأنا أشهد أن الله أَحَبَّه ورسوله[٤].

وبلغ من اعتزازها بنفسها زوجةً لرسول الله ﷺ أنها أنكرت على عمر رضي الله عنه حينما تكلم في مراجعة أمهات المؤمنين للنبي ﷺ،

---

(١) السمط الثمين (ص ٧٦).

(٢) انظر تحفة الأشراف ١٣/٣، ٤، ٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٣٠٢، الدر المصون ١/٣٤.

(٤) أعلام النساء (ص ٧٧).

فقالت: عجباً لك يا ابن الخطاب قد دخلْتَ في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه[1].

ودلّت الروايات على أن رسول الله ﷺ كان يحتفل بها ويُنزلها منزلتها التي كانت تستحقها، فقد روى ابن حجر[2] أن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[3] قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي. قالت: فقلت: يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله. وفي رواية ثانية ذكرها صاحب «السمط»[4] عنها قالت: غطى رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين بخميصة سوداء، ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي.

قالت: قلت: وأنا يا رسول الله؟ قال: وأنتِ.

وكان ﷺ يمنحها بعض أعطياته. ففي رواية: أنه لما تزوجها، قال لها: يا أم سلمة إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي مِسْك، وإني لا أراه إلا قد مات، وما أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترُدّ إلي، فإن رُدَّت عليَّ فهي لك. قالت: فكان كما قال مات النجاشي

---

(١) زوجات النبي للجمل (ص٧٧).

(٢) أسد الغابة ٥/٥٨٩، وانظر: السمط الثمين (ص ٧٥).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٤) السمط الثمين (ص ٧٥).

ورُدَّت عليه الهدية، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية أوقية، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة[1].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة، يبدأ بأم سلمة لأنها أكبرهنَّ وكان يختم بي[1].

وقد أدرك أزواج النبي ﷺ ما تملكه أم سلمة من مَلَكات وقدرات في موازنة الأمور، وسعة الأفق، والخبرة فكنَّ يتحاكمْنَ إليها[2].

ويبدو أن أم سلمة كانت تُعنى بتربية ابنتها وتعليمها، فقد ذكر المؤرخون أن ابنتها زينب كانت من أفقه نساء أهل زمانها[3].

ولم يُعرف عن أم سلمة تميُّز ظاهر بمسألة الغيرة[4]. ما عدا روايات نادرة أُثِرت عنها تـمثل أنوثتها التي قد يصعب عليها وعلى غيرها من معشر النساء أن تتخلى عنها. ومن ذلك: عن عبد الرحمن ابن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، ومعه في ذلك السفر صفية بنت حُيَيّ وأم سلمة، فأقبل رسول الله ﷺ إلى هودج صفية، وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة، فجعل رسول الله ﷺ يتحدث مع صفية، فغارت أم سلمة، وعلم

---

(١) السمط الثمين (ص٧٦).
(٢) شذرات الذهب ١/ ٦٩ـ٧٠.
(٣) السمط الثمين (ص٧٨).
(٤) شذرات الذهب ١/ ٦٩ـ٧٠.

رسول الله ﷺ بعدُ أنها صفية، فجاء إلى أم سلمة، فقالت: تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وأنت رسول الله ؟. قالت: ثم ندمت على تلك المقالة. فكانت تستغفر منها، قالت: يا رسول الله استغفر لي فإنما حملني على هذا الغيرة[١].

٣ـ بلاغتها:

نشأت أم سلمة في بيئة عربية صافية تتميز بالفصاحة والبلاغة والعناية بناصية القول، وقبيلتها من القبائل التي شهد لها أهل العلم بجانب العناية بالبيان العربي المبين. وقد أضافت إلى ذلك أنها تشرَّفت بالزواج من النبي ﷺ، فعاشت معه ردحاً طويلاً من عمرها، وهو أفصح من نطق بالضاد، ويُعدّ بيته كذلك ملتقى لوفود القبائل العربية التي تخطب ودّ القول الفصيح البليغ، والعرب وما أدراك ما العرب في جانب الأدب والكلمة.

وإذا تأملنا النصوص التي تركتها أم سلمة وأقوالها المختلفة، لاحظنا تميز هذه السيدة العربية بالفصاحة والبلاغة. وأوضح مثال على ذلك كتابها إلى أم المؤمنين عائشة تثنيها عن خروجها إلى وقعة الجمل[٢]:

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٩٦.

(٢) أعلام النساء ٥/ ٢٢٥.

«من أم سلمة زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أمَّا بعد، فقد هتكْتِ سدة بين رسول الله ﷺ وأمته، حجاب مضروب على حرمته، فقد جمع القرآن ذَيْلك فلا تندحيه[1]، وسَكن الله من عُقَيْراك فلا تُصحريها[2].

اللهَ من وراء هذه الأمة.

لو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك.

أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة[3] في الدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إنْ مال، ولا يرأب بهنَّ إن انصدع.

جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول وقَصْر المودة، ما كنتِ قائلة لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصَّةَ قعوداً[4] من منهل إلى منهل، وغداً تَرِدِين على رسول الله ﷺ، وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكةً حجاباً ضربه عليَّ، فاجعليه سترك، وقاعةَ البيت حصنك، فإنك

(١) لا تندحيه: أي لا تُوَسِّعِيه بالخروج إلى البصرة.

(٢) لا تُصحريها: لا تُبرزيها إلى الصحراء أي أَسكَنَكِ الله بيتَك وعقارك وستَرَكِ فيه فلا تُبرزيه.

(٣) الفراطة في الدين: يعني السبق والتقدم ومجاوزة الحدّ.

(٤) ناصَّةَ قعوداً: أي رافعةً له في السير، تستخرج منه أقصى سيره.

أنصح ما تكونين لهذه الأمة، ما قعدتِ عن نصرتهم، ولو أني حَدَّثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهَشْتِ نهش الرَّقْشاء المطرقة[1]. والسلام».

والنص الثاني قولها لعثمان رضي الله عنه:

«مالي أرى رعيتك عنك نافرين، ومن جناحك ناقرين، لاتقف طريقاً كان رسول الله ﷺ يحبها، ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه، وتوخَّ حيث توخَّى صاحباك، فإنهما ثكما الأمر ثكماً[2] ولم يظلما. هذا حق أمومتي أقضيه إليك، وإن عليك حق الطاعة».

يتضح من النصين السابقين عناية السيدة أم سلمة بلغتها عناية الفصيح البليغ الذي يحرص على إخراج كلامه مخرج التأثير في الآخرين، فيستخدم على نحو بعيد عن التكلف ألواناً من الأساليب البلاغية العالية، ومن ذلك:

١ـ التشبيه البليغ في قولها:

اجعلي قاعة بيتك حصنك.

لنهشت نهش الرقشاء المطرقة.

---

(١) النَّهْش: العضّ. الرقشاء: الحية فيها نقط سواد وبياض. المطرقة: السريعة.

(٢) ثكم الحق: أوضحه وبيَّنه. انظر في كتابها: اللسان (ثكم).

٢ـ الإيجاز في قولها:

جهاد النساء غض الأطراف، وضم الذيول، وقَصْر المودة. الله من وراء هذه الأمة.

٣ـ الإطناب في قولها:

فقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسَكَّنَ من عُقَيْراك فلا تُصْحريها.

مالي أرى رعيتك عنك نافرين، ومن جناحك ناقرين.

٤ـ المراوحة بين الخبر والإنشاء:

الخبر: وغداً تردين على رسول الله ﷺ.

فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء.

جهاد النساء غض الأطراف، وضم الذيول، وقصر المودة.

الإنشاء: فلا تُصحريها ـ فلا تندحيه ـ لا تقتدح ـ توخَّ ـ

الله من وراء هذه الامة.

٥ـ استخدام الأسلوب التصويري في قولها:

«ولو أني حَدَّثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهَشْتِ نهش الرَّقْشاء المطرقة».

«فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إنْ مال، ولا يرأب بهنَّ إن انصدع».

٦ـ انتقاء الألفاظ المناسبة للسياق:

«ناصَّةً قعوداً من منهل إلى منهل».

«فإنهما ثكما الأمر ثكماً ولم يظلما».

٧ـ استخدام المحسنات البديعية:

نافرين ـ ناقرين.

٨ـ استخدام أسلوب الكناية:

ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه.

مالي أرى رعيتك عنك نافرين، ومن جناحك ناقرين.

فقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكِّن من عُقَيْراك فلا تُصحريها.

٩ـ استخدام أسلوب التوكيد:

«فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة، ما قعدت عن نصرتهم».

«وأقسم لو قيل لي يا أم سلمة ادخلي الجنة لاستحييت...».

٤ـ جـمالها:

يذكر المؤرخون وكتَّاب السيرة أن أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، وأنها من حسان النساء[١]. وذكر ابن حجر في «الإصابة»[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَا تزوَّج النبي ﷺ أم سلمة حزنتُ حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها، فتلطَّفْتُ حتى رأيتها، فرأيتها واللهِ أضعاف أضعاف ما وُصِفتْ لي في الحسن.

* * *

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٢، الإصابة ٣/ ٤٢٢، البداية والنهاية ٨/ ٢١٤، مرآة الجنان ١/ ١٣٨.

(٢) الإصابة ٣/ ٢٢٤، الطبقات ٨/ ٣٩٤، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٩.

الفَصْلُ السَّادِسُ

مشاركتها في أحداث عصرها

يهدر بعض الناس دور المرأة في الدعوة، فلا يعلق على هذا الدور أملاً ذا شأن، ويتصورها دائماً في موقف سلبي غير فاعل، والحق أن للمرأة في مجال الدعوة دوراً عظيماً ينبغي أن تؤديه وفق إمكاناتها ووفق الضوابط الشرعية التي حدَّدها الشارع الحكيم.

ونظراً لهذه المكانة العظيمة التي كانت السيدة أم سلمة تتبوَّؤها، فهي قريبة من بيت النبوة، وهي المعروفة برجاحة العقل وسداد الرأي، وهي الابنة الوفية للدعوة التي شرَّفها الله بخدمتها واكتساب خبرات تراكمية في هذا المجال.. نظراً لهذا كله فقد سَجَّلت السيرة مشاركات وفيرة لها في أحداث عصرها، فكانت تقدِّم الرأي لمن يستشيرها، وكان لها نظر فيما يجري حولها. ولعل أكبر مشاركة لها في أحداث عصرها ما أشرنا إليه في موضع آخر من هذه الدراسة حول هجرتها إلى الحبشة، وهجرتها إلى المدينة، واستشارة الرسول ﷺ لها في عُمْرة الحديبية.

ودخلت على عثمان رضي الله عنه، الخليفة الثالث، ذات يوم

ونصحته بالالتزام بطريق رسول الله ﷺ وصاحبيه، وقالت له: «مالـي أرى رعيتك عنك نافرين، ومن جناحك ناقرين، لاتقف طريقاً كان رسول الله ﷺ يحبها، ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه، وتوخَّ حيث توخَّى صاحباك - أبو بكر وعمر - فإنهما ثكما الأمر ثكماً ولم يظلما، هذا حق أمومتي أقضيه إليك، وإن عليك حق الطاعة»[1]. فقال عثمان رضي الله عنه: أمّا بعد فقد قُلْتِ فَوَعَيْتُ، وأوصَيْتِ فَقَبِلْتُ.

وعندما قُتل عثمان حزنت لفقده واستشهاده على الصورة المؤلمة التي حدَثَتْ، فدخل عليها رجل من بني تميم يسألها عنه. فقالت[1]:

«شكا الناس منه ظلامة فاستتابوه فتاب وأناب، حتى إذا صيروه كالثوب الأبيض من الدنس، عمدوا إليه فقتلوه».

وأرسَلَتْ إلى معاوية حين أمر بلعن عليّ على المنابر قائلة[2]:

إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علياً ومَن أحبَّه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله.

وحين عزمت عائشة على الخروج إلى وقعة الجمل كتبت إليها أم سلمة كتابها الذي أشرنا إليه في فصل (رجاحة عقلها).

---

(١) من أعلام النساء (ص ١٩٠).

(٢) من أعلام النساء (ص ١٩٣).

وشهدت أم سلمة غزوة خيبر، فقالت[1]: سمعت وقع السيف في أسنان مَرْحَب.

وبلغها مقتل الحسين، فوجمت لذلك وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيراً، وقَبِلَتْ التعزية به[2].

وكانت السيدة أم سلمة تصحب الرسول ﷺ في بعض غزواته، ومن ذلك أنه سار إلى الطائف بعد فراغه من حُنَيْن، وكان معه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة، فضرب لهما قبتين، ثم صلى بين القبتين، ثم أقام[3].

واجتهدت أم سلمة يوم بويع معاوية بالخلافة أن البيعة أسلم من عدمها. ويذكرون[4] أن بُسْر بن أرطاة قدم المدينة في خلافة معاوية، ورفض أن يبايع، فأتت أم سلمة إليه وقالت له: بايع، فقد أمرتُ عبد الله بن زمعة ابن أخي أن يبايع.

وقد تكون أم سلمة طريقاً للدخول على الرسول ﷺ والكلام معه في بعض القضايا الشائكة التي تمر بمسيرة الدعوة، فقد كلَّمته بشأن

---

(١) الاستيعاب ٤/٤٥٥.
(٢) أزواج النبي ﷺ لابن زبالة (ص ٦٤)، سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٧.
(٣) سيرة النبي ﷺ ٤/١٢٢.
(٤) أعلام النساء ٥/٢٢٦.

أخيها عبد الله بن أبي أمية، وأبي سفيان حيث طلبا الدخول على النبي ﷺ، وبعد رجاء طويل أَذِنَ لهما وأسلما[1].

* * *

(1) حياة الصحابة ١/ ١٦٣.

الفَصْلُ السَّابِع

وفــاتــهــا

توفيت أم سلمة رضي الله عنها في ذي القعدة سنة ٥٩ هـ، وقيل: سنة ٦٠ هـ، وقيل: ٦١ هـ، وقيل: ٦٢ هـ[١]. وصلىَّ عليها أبو هريرة، وقيل: إن هذا لم يثبت لأنه توفي قبلها[٢]. ودفنت بالبقيع. وقد تجاوزت الرابعة والثمانين، وقيل: بل عُمِّرَتْ تسعين سنة. وقد تُوفيت أم سلمة في ولاية يزيد بن معاوية.

وأوصت[٣] أن يصلي عليها سعيد بن زيد لمّا مرضت، وهو أحد العشرة، ولكنها عوفيت، ومات سعيد بن زيد قبلها.

ومَّمنْ حضر وفاتها سلمة وعمر ابناها، وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية، وعبد الله بن وهب بن زمعة[٤].

---

(١) تهذيب الكمال ٣/١٦٩٩، مسانيد أمهات المؤمنين (ص ٣٨)، سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٢.

(٢) الإصابة ٤/٤٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٨.

(٣) الاستيعاب ٤/٤٢٢.

(٤) أزواج النبي ﷺ لابن زبالة (ص ٦٤).

وقد دفنت بجانب محمد بن زيد بن علي قريباً من موضع فاطمة.

ويذكر ابن شبَّة أنه وُجد حجر مكسور في البقيع مكتوب في بعضه: أم سلمة زوج النبي ﷺ فعُرف أنه قبرها[1].

وهي آخر زوجات النبي ﷺ موتاً[2]. وقيل: بل ميمونة. وقيل: بل صفية.

* * *

(1) تاريخ المدينة ١/ ١٢٠.

(2) نهاية الأرب ١٨/ ١٧٩، مرآة الجنان ١/ ١٣٨، زاد المعاد ١/ ٤١.

ملحق في طائفة من الأحاديث التي روتها(*)

١ـ قالت: «لما مات أبو سلمة قلت: غريب ومات بأرض غربة، فأفضت بكاءً، فجاءت امرأة تريد أن تُسعدني من الصعيد، فقال رسول الله ﷺ: تريدين أن تُدخلي الشيطان بيتاً قد أخرجه الله عز وجل منه، قالت: فلم أبكِ عليه».

٢ـ عن أم سلمة ذكرت أن النبي ﷺ قال: «إذا كان لإحداكن مكاتب فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه».

٣ـ عن أم سلمة عن النبي ﷺ: «إذا دخلت العشر فأراد رجل أن يضحي فلا يمس من شعره ولا من بشره».

٤ـ «سُئِلَتْ عائشة وأم سلمة: أيُّ العمل كان أعجب إلى النبي ﷺ؟ قالت: مادام عليه وإن قلَّ».

٥ـ دخلتُ على أم سلمة فسألتها عن الصيام فقالت: «كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أولها الإثنين والجمعة والخميس».

(*) مسند الإمام أحمد ٦/٢٨٨.

٦ـ قالت: «كان النبي ﷺ يصبح وهو جنب ثم يصوم».

٧ـ قالت: «كان من آخر وصية رسول الله ﷺ: الصلاة الصلاة وما مَلَكَت أيمانكم».

٨ـ قالت: «قال رسول الله ﷺ إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أنا بشر أقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له من حقِّ أخيه شيئاً فإنما هو نار فلا يأخذه».

٩ـ «عنها أنها كانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان من إناء واحد من الجنابة، وكان يقبلها وهو صائم».

١٠ـ عنها قالت: «قالت أم سليم: يارسول الله، إن الله لايستحيي من الحق، هل على المرأة من غُسل إذا احتلمت قال: نعم، إذا رأت الماء، فضحكت أم سلمة، قالت: أتحتلم المرأة؟ فقال النبي ﷺ: فَبِمَ يشبه الولد».

١١ـ قالت: «قلت: يا رسول الله، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنيّ؟ قال: نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم».

١٢ـ أنها استفتت رسول الله ﷺ في امرأة تهراق الدم فقال:

«تنتظر قدر الليالي والأيام التي كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر، فتدع الصلاة، ثم لتغتسل ولتستثفر، ثم تصلي».

١٣ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة، يحتسب النفقة عليهما حتى يُغْنيهما الله من فضله عز وجل أو يكفيهما كانتا له ستراً من النار».

١٤ـ عنها عن رسول الله ﷺ: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن».

١٥ـ عنها عن رسول الله ﷺ: «المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل».

١٦ـ سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: «كان يقطع قراءته آية آية: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين».

١٧ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً ثم يصبح صائماً».

١٨ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم الله عز وجل بعذابٍ من عنده، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذٍ أناس صالحون؟ قال: بلى، قلت: فكيف يصنع أولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان».

١٩ـ عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال:

«بسم الله، توكَّلْتُ على الله، اللهم إني أعوذ بك من أن نزلّ أو نضلّ أو نظلم أو نجهل أو يُجهل علينا».

٢٠ـ قالت: «كان أكثر دعائه: يا مُقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك».

* * *

الخَاتـمَة

إذا تأملنا سيرة هذه السيدة الطاهرة العالمة العاقلة، لنستقي منها دروساً وعبراً لحاضرنا ومستقبلنا، وجدنا أنها سيرة ثرَّة مفعمة بالعطاء والبذل والمشاركة الفاعلة وإقرار دور المرأة المسلمة الداعية في بناء المجتمع المسلم المنشود فهي من يوم أن هرعت إلى دين الله مستجيبة مطيعة ما انفكّت تسعى في خدمة دين الله بكل ما أوتيت من قوة وطاقة، وتُظهر لنا سيرتها أن المرأة المسلمة سندٌ ركيـنٌ متين لزوجها في تحمُّلِ أعباء الدعوة، فيوم أن كانت زوجاً للمجاهد أبي سلمة قاست معه صلف قريش وإيذاءها وجبروتها، وهاجرت معه إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وعندما غاب عنها زوجها حيث سبقها إلى المدينة المنورة، كانت نِعْمَ الزوجة التي تحفظ زوجها، مستقيمة طاهرة السيرة، ثم تحمَّلت أعباء الهجرة إلى المدينة مع وليدها لتلحق بزوجها.. وتستمر في تهيئة البيت المسلم الذي يحتضن أشبال المستقبل، فتعهَّدت أولادها بالتربية، ولم يُعرف عنهم طيش أو هوى، وسيرتها مع زوجها أبي سلمة سيرة مودة مثرية، وحب عميق، وهذا شأن الزوجة الوفية المحبة لبيتها وزوجها.

وعندما أصبحت أمّاً للمؤمنين وتشرَّفت بالزواج من النبي ﷺ،

كانت للنبي ﷺ نعم الزوجة الوقور التي تهيىء لزوجها البيت الهانىء السعيد، وكانت لا تبخل عليه بالرأي الحصيف السديد كما مرَّ بنا يومَ الحديبية، وكانت تشارك أمهات المؤمنين في تهيئة المناخ البيتي المناسب لقائد الدعوة، ليكون مرتاح البال متفرغاً لأعباء الدعوة وهمومها، وما عُرف عنها أنها تشتط من غيرة أو أنانية، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنها راض بـما وجد منها من سعة الصدر والقلب والأفق. والمرأة المسلمة من خلال سيرة أم سلمة حريصة على طلب العلم ونشره والاستزادة منه، فلم تكن أم سلمة تبخل على مَنْ ينشد علمها الذي اكتسبته من بيت النبوة، وليس غريباً عنها أن تكون سيدة عالمة، فهي التي خالطت سيد العلماء في صومه وحجه وسلمه وحربه وطهوره ومعاملاته مع أزواجه وصلاته بالناس، فتكوَّن لديها خبرة شرعية عالية، فكان المسلمون من بعد وفاة الرسول ﷺ يَفِدون إليها للفتوى والمشورة والرأي.

وأم سلمة كما يبدو لنا من سيرتها مشاركة في أحداث عصرها، تتابع هذه الأحداث، وتُدلي برأيها وفق الضوابط الشرعية المعهودة، وهذا شأن المرأة المسلمة التي تحسُّ بوطأة المسؤولية. وهي لا تكتفي بالواجبات الحياتية المعروفة من مأكل ومشرب وكسوة، وإنما تشعر أن عليها واجبات جـمَّة ينبغي أن تنهض بها، فقد نصحت عثمان، ونصحت معاوية، ونصحت عائشة، رضوان الله عليهم جـميعاً.

وأوصي أخواتي وإخواني من طلاب العلم والدعوة أن يعنوا بسيرة أمهات المؤمنين درساً وتفصيلاً وكشْفاً وذلك لأن هذه السيرة مترعة بالتربية النموذجية التي اكتسبنها من لدن المربي الأول محمد رسول الله ﷺ، وحبذا لو كان ثمة دراسات أخرى تتناول باقي أمهات المؤمنين وباقي الصحابيات الجليلات ممن لايعرف الناس عنهن شيئاً ذا بال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

المَـراجع

- أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة. تحقيق د. أكرم العمري ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م، المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، على حاشية كتاب الإصابة، السعادة، ١٣٢٨ هـ.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث، مصورة عن طبعة طهران ١٣٧٧ هـ.

- الإصابة، لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ، السعادة.

- الأعلام، للزركلي بيروت ١٩٨٤ م.

- أعلام النساء، لعمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

- البداية والنهاية، لابن كثير، بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م.

- تاريخ المدينة المنورة، لابن شيبة، تحقيق فهيم محمد شلتوت.

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لأبي الحجاج، الهند ١٤٠٣هـ.

ـ تراجم سيدات بيت النبوة، لبنت الشاطىء، دار الكتاب العربي، بيروت.

ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق الشيخ محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، حلب ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

ـ تهذيب الكمال، للمَزِّي، قدم له عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق دار المأمون للتراث.

ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق.

ـ زاد المعاد، لابن القيم، راجعه طه عبد الرؤوف طه، مطبعة الحلبي، مصر ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.

ـ الرحيق المختوم، للمباركفوري، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م ـ بيروت.

ـ زوجات النبي، لإبراهيم الجمل، مصر.

ـ السمط الثمين، للطبري، مصر ١٩٨٢ م.

ـ السيدة عائشة، للشيخ عبد الحميد طهماز، دار القلم ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

ـ السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م.

ـ السيرة النبوية، لابن كثير.

ـ سيرة أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

ـ شذرات الذهب، لابن العماد، طبعة مصورة، مصر ١٣٥١هـ.

ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، الطبعة الثانية، حيدر آباد ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.

ـ صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، لسلمى الحسيني، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، المعهد العالي للدعوة، المدينة المنورة.

ـ صور من حياة الصحابة، د. عبد الرحمن الباشا، طبعة وزارة المعارف السعودية ـ الكتب المدرسية.

ـ فتح الباري، لابن حجر، طبعة دار الفكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة.

ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

ـ فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس دار صادر ـ بيروت.

ـ لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

ـ لمحات عن أمهات المؤمنين، لمنصور الرفاعي، مصر.

ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

ـ مسانيد أمهات المؤمنين، للسيوطي، الدار السلفية ـ الهند.

ـ من أعلام النساء.. سيرة ومنهاج، لمحمد علي قطب وعبد الفتاح الدومي.

ـ المغازي، للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب ـ بيروت.

ـ نهاية الأرب، للنويري، وزارة الثقافة ـ مصر.

ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

* * *

الفهـــرس

المقدمة ٧
مخطط البحث ١١
الفصل الأول : اسمها ونسبها وقبيلتها ١٣
الفصل الثاني : حياتها قبل زواجها من النبي ﷺ ١٧
أولادها ٢١
هجرتها إلى الحبشة ٢٤
الفصل الثالث : هجرتها إلى المدينة المنورة ٢٨
الفصل الرابع : زواجها من النبي ﷺ ٣٣
الفصل الخامس : صفاتها ٣٩
١ـ رجاحة عقلها ٣٩
ـ موقف الحديبية ٤٢
ـ موقفها من خروج عائشة يوم الجمل ٤٦
٢ـ علمها ومجاهرتها بالحق ومنزلتها ٥٠
٣ـ بلاغتها ٥٩
٤ـ جمالها ٦٤
الفصل السادس : مشاركتها في أحداث عصرها ٦٥
الفصل السابع : وفاتها ٦٩

ملحق : في طائفة من الأحاديث التي روتها ٧١
خاتمة ٧٥
المراجع ٧٨
الفهرس ٨٣

* * *

أعـــلام المسلمين

سلسلة تراجم إسـلامية تجمـع بين العلم والفكـر والتوجيـه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

١ ـ عبد الله بن المبارك
تأليف: محمد عثمان جمال

٢ ـ الإمام الشافعي
تأليف: عبد الغني الدقر

٣ ـ مصعب بن عمير
تأليف: محمد حسن بريغش

٤ ـ عبد الله بن رواحة
تأليف: د. جميل سلطان

٥ ـ أبو حنيفة النعمان
تأليف: وهبي غاوجي الألباني

٦ ـ عبد الله بن عمر
تأليف: محيي الدين مستو

٧ ـ أنس بن مالك
تأليف: عبد الحميد طهماز

٨ ـ سعيد بن المسيّب
تأليف: د. وهبة الزحيلي

٩ ـ السلطان محمد الفاتح
تأليف: د. عبد السلام فهمي

١٠ـ الإمام النووي
تأليف: عبد الغني الدقر

١١ـ الشيخ محمد الحامد
تأليف: عبد الحميد طهماز

١٢ـ السيدة عائشة
تأليف: عبد الحميد طهماز

١٣ـ الإمام البخاري
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري

١٤ـ عبادة بن الصامت
تأليف: د. وهبة الزحيلي

١٥ـ عبد الله بن عباس
تأليف: د. مصطفى الخن

١٦ـ جابر بن عبد الله
تأليف: وهبي غاوجي الألباني

١٧ـ أحمد بن حنبل
تأليف: عبد الغني الدقر

١٨ـ كعب بن مالك
تأليف: د. سامي مكي العاني

١٩ـ أبو داود
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري

٢٠ـ أسامة بن زيد
تأليف: د. وهبة الزحيلي

٢١ـ معاوية بن أبي سفيان
تأليف: منير الغضبان

٢٢ـ عدي بن حاتم الطائي
تأليف: محيي الدين مستو

٢٣ـ مالك بن أنس
تأليف: عبد الغني الدقر
٢٤ـ عبد الله بن مسعود
تأليف: عبد الستار الشيخ
٢٥ـ معاذ بن جبل
تأليف: عبد الحميد طهماز
٢٦ـ الإمام الجويني
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٧ـ القاضي البيضاوي
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٨ـ عبد الحميد بن باديس
تأليف: مازن مطبقاني
٢٩ـ تميم بن أوس الداري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٣٠ـ السلطان عبد الحميد الثاني
تأليف: د. محمد حرب
٣١ـ السيدة خديجة
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٢ـ زيد بن ثابت
تأليف: صفوان داوودي
٣٣ـ الإمام أبو جعفر الطبري
تأليف: د. محمد الزحيلي
٣٤ـ أبو موسى الأشعري
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٥ـ أبو عبيد قاسم بن سلام
تأليف: سائد بكداش
٣٦ـ أبو جعفر الطحاوي
تأليف: عبد الله نذير أحمد
٣٧ـ سفيان بن عيينة
تأليف: عبد الغني الدقر
٣٨ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني
تأليف: عبد الستار الشيخ
٣٩ـ العز بن عبد السلام
تأليف: د. محمد الزحيلي
٤٠ـ عمر بن عبد العزيز
تأليف: عبد الستار الشيخ
٤١ـ الإمام القرطبي
تأليف: مشهور حسن سلمان
٤٢ـ سعد بن الربيع
تأليف: محمد علي كاتبي
٤٣ـ الإمام الغزالي
تأليف: صالح أحمد الشامي
٤٤ـ الإمام الزهري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٤٥ـ عبد القادر الجيلاني
تأليف: د. عبد الرزاق الكيلاني
٤٦ـ الإمام البيهقي
تأليف: د. نجم عبد الرحمن خلف
٤٧ـ محمد بن الحسن الشيباني
تأليف: د. علي أحمد الندوي
٤٨ـ أبي بن كعب
تأليف: صفوان داوودي
٤٩ـ الإمام مسلم بن الحجاج
تأليف: مشهور حسن سلمان
٥٠ـ الإمام الذهبي
تأليف: عبد الستار الشيخ

٥١ـ علي ابن المديني
إبراهيم محمد العلي
٥٢ـ سفيان الثوري
الشيخ عبد الغني الدقر
٥٣ـ محمد بن إسحاق
محمد عبد الله أبو صعيليك
٥٤ـ الإمام عبد الحي اللكنوي
ولي الدين الندوي
٥٥ـ الإمام الحافظ محمد بن حبان البستي
محمد عبد الله أبو صعيليك
٥٦ـ أم سلمة
أمينة عمر الخراط
٥٧ـ ابن كثير
د. محمد الزحيلي